

المصرفية الإسلامية الماهية، النشأة الأهداف والفروق مع الآخر

د. سمير الشاعر

مستشار وأستاذ جامعي

مستشار الاقتصاد والتمويل المصرفي الإسلامي

عضو سابق في مجلس أمناء صندوق الزكاة في لبنان

خبير معتمد في المالية الإسلامية لدى صندوق النقد الدولي IMF

مدير التدقيق الشرعي سابقاً في بيت التمويل العربي (مصرف إسلامي)

عضو اللجان الشرعية في هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية AAOIFI

ماهية المصرف الإسلامي؟

■ المصرف الإسلامي مؤسسة مالية، الأصل في عملها التجارة وليس الوساطة وفق الصيغ الشرعية المعروفة والعقود المستحدثة التي لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

■ المصرف الإسلامي تبني الاتجاه الحديث الذي اتجهت إليه البنوك التقليدية مؤخراً وهو توفير الفرصة للمدخرين بتحمل المخاطر مباشرة.

جذور ونشأة المصرفية الإسلامية

المصرفية الإسلامية بين يدي الصحابة والعرب

■ أوردت كتب التاريخ الإسلامي نماذج مصرفية لنشاطات كثيرة قام بها المسلمون وتعاملوا بها منذ صدر الإسلام الأول، وكانت بدايات ناجحة لا تزال نطبقها في معاملاتنا المصرفية اليومية من **تجميع الودائع وتحويل الأموال وتمويل التجارة وتبادل العملات**، ولم تختلف الفكرة في شيء إلا في تطوير الوسائل المستخدمة فحسب، وسنعرض نماذج معاملات:

نموذج معاملات الزبير بن العوام، رضي الله عنه

1. كان يأخذ من قوم بمكة المكرمة دراهم، ثم يكتب لهم بها إلى مصعب بن الزبير بالعراق، فيأخذونها منه، وجاء في بعض الكتب أن الزبير كان له دكان بالفسطاط وآخر بالشام وثالث بالكوفة ورابع بالبصرة وخامس بالمدينة المنورة،

وكانت كل هذه الدكاكين تؤدي أعمالاً مصرفية بالمفهوم الحديث، بمعنى أن هذه الدكاكين كانت تقوم بما يقوم به المراسلون الآن من وكالة لتحويل الأموال ومقاصة فيما بينها وحسابات مفتوحة يتم فيها تسجيل القيود الدائنة والمدينة وإلا فكيف يستقيم عقلاً أن تقوم هذه الدكاكين بمثل هذا الدور دون أن ترتبط بشبكة اتصال وعمليات تسوية وإضافة وخصم بشكل من الأشكال وصورة من الصور؟

هذا فضلاً عما ثبت في صحيح البخاري من أنه كان يأخذ أموال الصحابة على سبيل القرض لا الوديعة فيستثمرها ويضمنها، وكان مجموع ثروته يزيد عن خمسين مليون درهم.

نموذج معاملات سعيد بن جبير عن ابن عمر، رضي الله عنهما

- أورد الحاكم في مستدرکه عنه، قال ثم كنت أبيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وأخذ بالدرهم وأبيع بالدرهم وأخذ الدنانير فوقع في نفسي من ذلك فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة أو قال حين خرج من بيت حفصة فقلت يا رسول الله رويدك أسألك أني أبيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وأخذ الدرهم وأبيع بالدرهم وأخذ الدنانير فقال لا بأس أن تأخذهما بسعر يومهما ما لم تفرقا وبينكما شيء.

تابع نموذج معاملات سعيد بن جبير/ و بورصة العرب

■ وفي هذا الحديث الشريف دلالات لأعمال لا تكاد تنفك من أعمال المصارف اليوم، فمن ذلك مثلاً بيع وشراء العملات التي هي من صميم عمل البنوك اليوم، وحتى في وجود مراكز للصرافة في بعض دول العالم فإن هذا النشاط من الأنشطة الحيوية التقليدية للمصارف.

■ ثم انظر ما قاله النبي محمد صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث الشريف حينما جَوَزَ لابن عمر هذا النوع من التعامل قائلاً لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ولم يقل بسعرها أو بسعر عامها، مما يدل على أن العرب كانت تتبادل العملات وكانت لديها «بورصة بلغتنا» تتحدد فيها الأسعار بصفة يومية.

الأوراق التجارية

- عرفت الحضارة الإسلامية أعمال مصرفية لم تظهر في الفكر الغربي، إلا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث البداية الحقيقية للمصارف التقليدية.
- ومن ذلك أن العرب عرفوا الأوراق التجارية وتعاملوا بها قبل وقت طويل من اكتشافها في الغرب في القرون الأخيرة.
- يقول البروفيسور حسن صادق؛ مع اتساع التجارة وازدهارها، عبر المسافات البعيدة الممتدة على طول العالم الإسلامي في القرون الوسطى، عرف المسلمون وسائل تسهل العمل التجاري والضمان في أرجاء العالم الإسلامي المتباعدة، فقد شاع استعمال الأوراق التجارية مثل السفنجة والسند والصك والرقعة.

أول شيك في التاريخ

- وفي الواقع أن أول شيك في التاريخ تم سحبه لم يكن على يد صائغ في لندن عام 1795م، كما يردد ذلك بعض المؤلفين من أساتذة القانون التجاري،
- وإنما كان أول شيك قد جرى سحبه حقيقة على يد صراف بغداد في القرن الرابع الهجري وأن الذي سحبه هو سيف الدولة الحمداني، أمير حلب، في قصة طريفة رواها أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام.
- ومن الجائز أن تكون كلمة شك «Check» الانجليزية مأخوذة في الأصل من كلمة «صك» التي استخدمها العرب منذ عهود بعيدة جداً للدلالة على مثل هذا النوع من الأوراق.

أسس عمل المصارف الإسلامية

■ اعتماد الشريعة.

■ نبذ الربا.

■ تقاسم المخاطر.

■ زيادة المال بالجهد والعمل.

المال بذاته لا يولد المال، بل ينبغي أن يتولد بالعمل والجهد، فالشخص يستحق المكافأة مقابل ما يبذل من جهد، وعلى العكس من ذلك، لا ينبغي أن يتوقع من لا يبذل الجهد أي عائد.

أهداف المصارف الإسلامية العامة

- التخلص من التبعية الاقتصادية
- جمع و استثمار رؤوس الأموال
 - الحث على الادخار
 - الحد من التضخم
 - جمع الزكاة وتوزيعها
 - تشجيع المعاملات التجارية المباشرة
 - التمويل الاستثماري

أهداف المصارف الإسلامية التفصيلية

- 1- الأهداف المالية:
 - - جذب الودائع وتنميتها.
 - - استثمار الأموال.
 - - تحقيق الأرباح.
- 2- أهداف خاصة بالمتعاملين:
 - - تقديم الخدمات المصرفية.
 - - توفير التمويل للمستثمرين.
 - - توفير الأمان للمودعين.
- 3- أهداف داخلية:
 - - تنمية الموارد البشرية.
 - - تحقيق معدل نمو.
 - - الانتشار جغرافياً واجتماعياً.
- 4- أهداف ابتكاريّة:
 - - ابتكار صيغ للتمويل.
 - - ابتكار وتطوير الخدمات المصرفية.

مقارنة بين المصارف الإسلامية والتقليدية

المصرف الإسلامي	المصرف التقليدي	عنصر المقارنة	ترقيم
الفروق العامة			
أمر شرعي لتطهير العمل المصرفي من الفوائد الربوية والمخالفات الشرعية.	نزعة فردية مادية للاتجار في النقود وتعظيم الثروة.	النشأة	1
مؤسسة مالية مصرفية تتقبل الأموال على أساس قاعدتي الخراج بالضمان والغرم بالغنم للاتجار بها واستثمارها وفق مقاصد الشريعة وأحكامها التفصيلية.	أحد مؤسسات السوق النقدي التي تتعامل في الائتمان النقدي وعمله الأساسي والذي تمارسه عادة قبول الودائع لاستعمالها في عمليات مصرفية كخصم الأوراق التجارية وشرائها وبيعها ومنح القروض وغير ذلك من عمليات الائتمان.	المفهوم	2
لا يتسم دوره بحيادية الوسيط بل يمارس المهنة المصرفية والوساطة المالية بأدوات استثمارية يكون فيها بائعاً ومشترياً وشريكاً.	مؤسسات مالية وسيطة ومحيدة بين المدخرين / المودعين والمستثمرين.	طبيعة الدور	3
أداة تداول وليس سلعة	سلعة تباع و/أو تؤجر	المال	4
التمويل وفق قاعدة الغنم بالغرم وقاعدة الخراج بالضمان	الإقراض واسترداد الأموال	آلية التعامل	5
يقوم على أساس القاعدة الإنتاجية وفقاً لمبدأ الربح والخسارة.	يقوم على أساس القاعدة الإقراضية بسعر فائدة.	أساس التمويل	6

المرابحة/ المشاركة/ المضاربة/ الاستصناع/ السلم/ الإجارة/ التورق/ البيع الآجل/ الاستثمار المباشر	الإقراض والاقتراض	صيغ التمويل	7
<ul style="list-style-type: none"> - صاحب حساب جاري على أساس القرض الحسن والخراج بالضمان. - صاحب حساب استثماري فهو رب مال. - مشتري / بائع في جميع أنواع البيوع الحلال. - مشارك. 	<ul style="list-style-type: none"> - مُودع ومُدخر فهو مقرض ودائن أو مقترض ومدين وكلاهما على أساس الفائدة. - مستأجر لبعض الخدمات المصرفية كصناديق الأمانات. 	صفة المتعامل معه	8
<ul style="list-style-type: none"> - يجوز له ممارسة التجارة والصناعة وتملك البضائع وشراء العقارات والتعامل في أسهم الشركات التجارية بالضوابط الشرعية. 	<ul style="list-style-type: none"> - يحظر عليه ممارسة التجارة أو الصناعة أو أن يمتلك البضائع إلا سداداً لدين له على الغير على أن يبيعه خلال مدة معينة. - يحظر عليه شراء عقارات غير التي يحتاج إليها لممارسة أعماله أو أن يملكه سداداً لدين له على أن يبيعه خلال مدة معينة. - يجوز له أن يشتري لحسابه الخاص أسهم الشركات التجارية الأخرى في حدود نسبة محددة من أمواله الخاصة أو بناء على موافقة مسبقة من المصرف المركزي. 	المحظور والجائز	9
لا يستطيع ذلك لما تقوم عليه من الفائدة الربوية.	يستطيع إصدار أسهم ممتازة.	الموارد المالية الذاتية	10
<p>لا يقرض ولا يقترض بفائدة ويعتمد حسابان للاستثمار:</p> <p>حساب الاستثمار العام و حساب الاستثمار الخاص، ويؤسس الأول على قواعد المضاربة المطلقة ويؤسس الثاني على قواعد المضاربة المقيدة.</p>	الودائع والقروض على أساس الفائدة.	الموارد المالية الخارجية	11

12	الاحتياطي العام	يستقطع من صافي ربح المصرف	يستقطع من صافي الربح الذي يخص المساهمين فقط.
13	استخدامات الأموال	الجزء الأكبر من الأموال يستخدم في الإقراض بفائدة.	الجزء الأكبر من الأموال يتم توظيفه على أساس صيغ التمويل الإسلامية من البيوع والمشاركات والمضاربات وغيرها.
14	الوظيفة الرئيسة	يقوم بصفة أساسية ومعتادة بقبول الودائع وتقديم القروض للغير على أساس الفائدة.	مضارب في مضاربة مطلقة باعتبار المودعين في مجموعهم رب مال. وللمضارب، أي المصرف، أن يضارب فيكون رب مال وأصحاب العمل (المستثمرون) هم المضاربون.
15	الادخار وتنمية الوعي الادخاري	طبقاً للنظرية الوضعية الادخار هو الفائض من الدخل بعد الاستهلاك لذلك يبحث المصرف التقليدي عن الأموال لدى الأغنياء. ويهتم بكبار أصحاب الأموال على حساب تنمية الوعي الادخاري لدى الأفراد عموماً.	الادخار تأجيل إنفاق عاجل إلى أجل فهو عملية سلوكية لذلك يبحث المصرف الإسلامي عن الأموال لدى جميع الأفراد أغنياء وفقراء. لكل فئة من فئات المجتمع دوافعها الادخارية ولذلك تتنوع هذه الدوافع ومن هنا يهتم المصرف الإسلامي بتنمية الوعي الادخاري لدى الجميع تحقيقاً لدوافعهم الخاصة.
16	المتاجرة على الملكية	تغطي الملكية إجمالي الأموال التي يستطيع المصرف التجاري بناء عليها أن يحصل على القروض واستخدام الأموال المقترضة على أساس سعر الفائدة لتحقيق أكبر عائد لأصحاب المصرف.	لا يعتمد على المتاجرة على الملكية ومن ثم على الفرق بين الفائدة الربوية الدائنة والمدنية وإنما يعتمد على استثمار الأموال والاتجار بها وفق الصيغ والأدوات الشرعية.

17	الربح	يتحقق من الفرق بين الفائدة الدائنة والمدينة في عمليات المصرف.	يتحقق بأسبابه الشرعية من اشتراك المال – العمل – الضمان – وفق الأساليب الشرعية المحددة لكل منها.
18	الخسارة	يتحملها المقترض وحدة حتى ولو كانت لأسباب لا دخل له فيها.	يتحملها المصرف إذا كان رب مال في مضاربة، ويقدر رأس المال دائماً في المشاركات وفي البيوع إذا تدهورت حالة الأسواق.
19	عناصر ال:5C'S CAPITAL. COLLATERAL CAPACITY. CHARACTER CONDITION	الأهمية النسبية للضمانات أكثر من الاهتمام برأس المال وبالقدرة الإيرادية.	الأهمية النسبية لشخصية المتعامل أكثر من الاهتمام بالقدرة الإيرادية والمهم أن الوزن النسبي لهذه العناصر الخمسة يختلف عن المصرف التجاري بحسب طبيعة كل منها المختلفة وكذلك طبيعة أعماله ونشاطاته التي يقوم بها وآلياتها في الممارسة العملية.
20	الخدمات المصرفية	تؤدي مقابل ما يسمى عمولة وتعتبر مصدراً من مصادر الإيراد لا تتقيد بطبيعة الخدمة أو بالحلال والحرام.	تؤدي نظير التكاليف الفعلية لهذه الخدمة وتتقيد بالحلال والحرام.
21	طريقة احتساب الفائدة	تحتسب الفائدة ضمن عناصر تكلفة رأس المال ومن ثم تؤثر على الربح.	الربح أو الخسارة بعد خصم المصروفات والنفقات فقط والربح وقاية لرأس المال وجابر له من الخسران.
22	الرقابة	ثلاثة أنواع من الرقابة: من قبل الجمعية العمومية، التدقيق الداخلي والسلطات النقدية.	الثلاثة أنواع من الرقابة مضافاً إليها الرقابة الشرعية والتدقيق الشرعي.
23	إعسار المدين	إذا كان غير مماطل فلا يسمح له بمهلة سداد، ويلتزم بفوائد تأخير، وإذا كان مماطلاً فبالإضافة إلى ما تقدم تكون المقاضاة.	إذا كان غير مماطل يعطى مهلة سداد (فنظرة إلى ميسرة) ولا يلتزم بأي زيادة على الدين، وقد يعفى من الدين في حالة الإعسار الكامل وضالة المبلغ. وإذا كان موسراً مماطلاً تكون المقاضاة.

24	صندوق الزكاة	لا مكان له فيه.	أحد الركائز الدور الاجتماعي للمصرف الإسلامي.
25	مقاصد الشريعة وأولوياتها	ليس لها مكان فيه وإن حصل بعض التوافق فهو جزئي.	من أهم محددات آليات العمل وممارسة النشاط.
26	البيئة القانونية	منسجمة ومساندة	غير منسجمة وضعيفة المساندة
27	الكادر المؤهل	تتعاون على صياغته المؤسسات الأكاديمية	غير مؤمن بسهولة من المؤسسات الأكاديمية
28	الوعي الجماهيري	مقبول	ضعيف جداً
الفروق على الصعيد الفني			
29	دعم المصرف المركزي المالي	قائم، حيث لا مشكلة بموضوع الفائدة.	غير قائم، لعدم جواز اعتماد الفائدة. هنا بيت التمويل العربي أحدث أول اختراق بتحويل التعامل مع الاحتياطي القانوني بألية شرعية.
30	الأسواق المالية	مفتوحة دون عقبات.	دونها الكثير من المحاذير الشرعية.
31	الأموال عند المراسلين	تعتمد فيها الفوائد الدائنة والمدينة	لا مجال للتعامل بالفائدة والبديل تعظيم الأرصدة باستمرار أي كلفة أعلى.

الفروق على صعيد الخدمات

32	الحسابات الجارية	وديعة تقرض للآخرين وقد تعطى فوائد زهيدة أحياناً، جوائز أو هدايا.	قرض حسن يتعهد به المصرف ولا عوائد عليه.
33	حسابات التوفير قانوناً	مسموحة كونها تراكم رأسمالي.	غير مسموحة كونها مشاركته في الربح والخسارة.
34	خطابات الضمان	موجودة.	موجودة بضوابط شرعية.
35	الاعتمادات المستندية	موجودة.	موجودة بضوابط شرعية.
36	الحوالات	متوافره.	متوافره.
37	إصدار شيكات السفر	متوافر.	متوافر.
38	تحصيل الديون بموجب سندات	متوافر.	متوافر.
39	تأجير الصناديق الحديدية	متوافر.	متوافر.
40	تسهيل التعامل مع الدول الأخرى	متوافر.	متوافر.
41	المشاركة	غير متوافر.	متوافرة.
42	الاستثمار المباشر	غير متوافر.	متوافر.
43	حفظ، بيع أو الاكتتاب بالأسهم	متوافر.	متوافر للشركات ذات الموضوع الحلال.
44	صرف أرباح الأسهم	متوافر.	متوافر للشركات ذات الموضوع الحلال.
45	الأوراق التجارية تحصيل، قبول أو حفظ	متوافر.	متوافر.

لا يجوز التعامل به.	متوافر	خصم الأوراق التجارية	46
متوافر بشروط عقد الصرف الشرعي، خاصة شرط التقابض الحقيقي أو الحكمي.	متوافر.	الصرف الأجنبي	47
غير متوافر لعدم إمكانية التعامل بالفائدة وأحياناً كثيرة يكون له بديل شرعي عبر القرض الحسن	متوافر.	السحب على المكشوف	48
متوافرة بشروط وضوابط شرعية.	متوافرة.	البطاقات الائتمانية	49
متوافرة.	متوافرة.	البطاقات غير الائتمانية	50